الكشف عن الوطـن الـداخلـي

حـوار مـع الفنـان محمد القـاسمي

ان تدخل مساحات الابداع الضوئية ، يعني أن تتحمـل مسـؤوليـة الاختيار ، وكل اختيار ، واع وحقيقي هو حلم وطريق الى الحلم ، الذى يجسد حركة التحول ضمن منظور ابداعي يقتحم كل المراحل الجافة ليصل الى معانقة (تعاسة) الآخرين .

ان كل تواجد عاطفي مع ذوات الآخرين يبقى معانقة مجانية وسطحية تتولد عنها تنازلات لا على المستوى الابداعي فحسب ولكن على مستوى رحلة التجربة ـ المعاناة ـ والمستوى الايديولوجي أيضا .

وداخل هذا المنعطف البلورى تتناسل شارات الاصلاحية كمؤشر للانحراف والسقوط داخل بورصة البورجوازية . اذ يتحول المنظور الفني الى فرجـة تشكيلية سكونية يتحول فيها القماش واللون والاطـار والاخطـاء الـى ابجدية متواطئة يقف خلفها المبدع شاهد زور عن زمانه مدجنا وشحاذا خارج دورة التاريخ .

بيـان للـزمـن المبـاح :

« ان الخلق التشكيلي المعاصر في المغرب يريد أن يتجذر في الطموحات الوطنية والعربية وكذا في التناقضات التي تعيشها مجتمعاتنا دون اهمـال التطورات التي تجرى في الفن والفكر .

ان هذا الخلق لا يريد أن تكون له أية وظيفة عدا المشاركة في الكفاح العام للوطن العربي عن طريق الآثار الفنية نفسها وعن طريق العمل الابداعي المشرف الخلاق الذى يحمل آفاق المستقبل . فالاختيار واضح ، انه المساهمة الفعالـة المحددة في كل هذه الواجهات واختيار وسائل تغيير الواقع المرفوض .

* * *

وبفضل استقامة قلة من الفنانين المبدعين المغاربة لا يمكنهم التهرب من المشاكل الحيوية الاساسية وبالتالي فان الرتابة والتكرار والتهديد تنفضح لانها لن يعود لها أن تعتمد على مركب الصمت والفراغ » .

شاهد هذا المساء

محمد القاسمي : يرسم للتعبير عن هذا الجحيم الذى يصله دوما بذوات الاخرين ، يركب فرسا ناريا ويدخل طقوس « التعاسة » وأكتشف أنه يسرق لون البحر أو يرسم بدمه،

الحلم على قماش الورق :

من أين يبدأ الرهان ضد الصمت ؟

أو ضد الموت ؟ أو ضد الكلام الباح ؟

أبجدية الحلم تأتي شهادات مضادة تشربت بأملاح المحيط .عبرت أزمنة التهويمات التي تقف عند رجات الانفعال العاطفي لتصل الى حدود ضدالرؤيا الثالثة ـ .

الرهان يبدأ عند ما يتملك المبدع ايمان بدخول المغامرة ، لكنها تبقى مغامرة رابحة ويبقى الاحساس بها أشبه بصبوة الى الانعتاق ، ويتحول الصمت آنذاك الى مؤشر يميل نحو النكوص : يسقط الصمت ويسقط الموت .

عندما يتم بناء ابجدية الحلم على قماش أزرق .

الحلم هنا يصير **جحيميا** وعنيدا عند ما تتملكه القدرة على اكتشاف أبعاد الرؤيا الثالثة ـ (وتجاوز الاجترار الذاتي ، وأيضا تجاوز المنظور الفني الذى يأخذ أنفاسه من مناخات اتجاهات ابداعية مستهلكة ، مستلبة ـ تربت في كفالة التوجيه الكولونيالي .)

الحلم هنا يصير مسافة أخرى ، ليست موازية للاحباط الذى ينخر الكثير من الابداعات ـ ولكنه أيضا بديل يفضح الانسحاق والتورط في مؤامرات الصمت .

على امتداد مسافة من مرحلة القاسمي الابداعية ـ (الحلم على قماش أزرق) يتداخل العنف مع سبق الاصرار بمحاولة تملك اعدادية ، يعطيها الازرق مسحة هادئة ان لم نقل (رومانسية) .

« هذه المرحلة تجسد عنفا متوهجا ضمن مشار تجربة بأكملها لكن اللون الازرق يعطي للمتلقي فترة استراحة عينية » .

الكشف عن الوطن الداخلي

ينتهي الحلم في مقدمة الرحلة الزرقاء ، ويبدأ الدخول الى حالات التفوقع المكشوف دون تأشيرة .

(حتى على مستوى ترتيب اللوحات على الجدار . المرحلة الزرقاء ويليها الاعمال الجديدة)

لماذا لا أطرح هنا سؤالا ؟

الالوان تختلف ، الفاصل الجغرافي بين الازمنة اللونية تصفع العين ـ عرس مهرب من أنابيب الجواش ـ لكنه يبقى ذا مناخ فجيعي (نوع من الدراما التشكيلية) :

أوصال جسد مقطوع .. ملامح أصابع تنبت في عمق كومة من الاعضاء ، للاصابع دلالات الشاهد ـ أو دلالات الحضور أو دلالات الرفض لكنها تظل مجزوءة ومنفية عن وظيفتها (العضوية) في أرضية القماش . ان لم أقل على ارضية طينية العمق .

هذا التفجير المقصود على المستوى التشكيلي يمنحك صك الانتماء يضرب حساسياتك في العمق .

أنت لست مطالبا بتأشيرة كي تدخل فجيعتك .. تجزؤك .. حزنك .. رفضك .. شهادتك .

بهذا يصبح عالم القاسمي بلدا ندخله دون خارطة أو دليل .

أنت مطالب اذن ، بتجاوز زمن الفجيعة والتجزىء والحزن ـ زمن الرفض والشاهد أيضا .

أنت مطالب اذن ، بتجاوز زمن الفجيعة والتجزىء والحزن ـ زمن الرافض هذه العلاقات يصير لضربة فرشاة المبدع ثمن أيضا . لكنه ثمن خارج المعاملات البنكيـــة .

اعادة تركيب للصيـــغ

عن جيل 68 الذى اغتصب الحلم (اللاشرعي) لباريس قال جانلوى باروا،

« لقد كنت بينهم ولم أملك سوى أن أكون بينهم . وماذا سيكون مصيرى ان اكتشفت أنني تركت وحدى ومضت الاجيال عبرى ، مضوا كلهم مدانين أو مذنبين ، على حق كانوا أو على خطأ . ان ما يحدث الآن لا يمكن أن يحدث ثانية وسرعان ما سأكتشف أنني أنا الذى تركت في منظور فارغ ذى مساحات ظلال جافة ، وابعاد لا نهائية .. عاجز حتى عن اعلان براءتي لنفسي ، فـــلا وجود لمبرر كاف لانتاجي الفني ، كما أني غير مقتنع بفن لا يحدده ارتباط بالآخرين أو انفعال بهم .

وهل نقف احتراما أو ننحني مستسلمين لجيل يقود نفسه دون قيادة منا نحن الجيل الذى سبقه ، بغير أن نمنحه انشودته أو موسيقاه أو لوحته أو قصيدته أو حتى أرضية ثقافية صلبة يقف عليها .

ان نكرانه لنا ليس أكثر من تأكيد لمطلبه العادل وهو أن نقوده فكريا لنرجع احترامه لنا هذا أو ننزوى كالارانب في جحورنـــا معلنيـــن جبننـــا أو أنانيتنا على حد سواء أو في جملة واحدة « افلاسنا » فقط بصدق التجربـــة وانفعاله بها وايمانه بسلامة موقفه . بهذا فقط يستطيع الفنان أن ينتصب من سقطته وان يجدد نفسه معلنا عن ذاته من جديد) .

مقـدمـة الحـديـث

قبل آخر محطة من هذه الرحلة ،

أريد أن أتبين بعض مواقف التشكيليين المغاربة . أنا لا أشك في سلامة تركيب (البيان) ولكن التجربة كشفت عن ممارسات أخرى .

1) لماذا لا يجربون محنة الخروج عن طقوس قاعات العرض الدافئة التي لا تصير اللوحة فيها الا تكميلية للمناخ التزييني ؟

ـ خروج ـ جامع الفنا ـ 16 نوفمبر كان مجرد صبوة مفتعلة سرعان ما أعلنت صك توبتها في بورصات البورجوازية .

لماذا لم تستمر التجربة . اذن ؟

ليس معنى أن أى (تمرد) ابداعي يحدث في المغرب خارج الطقوس البورجوازية يجسد وعيا موقفا حادين لبناء مستقبلي يتجاوز اغراءاته ووسائل كبحه . وانما هي مادة وقائية ذات بعدين .

1) مبادرة (جامع الفنا . 16 مارس) ـ ولقد رفع هذا الشعار في ملتقيات عديدة ـ ذهب البعض لحد القول ، أنها من أولى الخطوات في العالم لاعطاء التشكيل بعدا جماهيريا ، وهنا يكمن خطر هذا (التمرد) المفتعل عند ما يصبح ـ قميص عثمان ـ

2) هذه المبادرة خدمت عن قصد أو عن غير قصد العقلية البورجوازية ما دام زمن الكلام المباح قائما وشرعيا .

وعلى مستوى آخر ـ مستوى العرض والطلب ـ أعطتها مسافة نفس طويل انطلاقا من أن (التمرد) التظاهري كشف عن نكوصه ، في الفواصل التي كانت تقف بين المتلقي العادى والمنظور الفني . (نوعية الخطاب والرقم المالي وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها .

على ضوء هذه التجربة ، عمدت البورجوازية الى تغيير وسائلها والتشبث بملكية البورصة التشكيلية والتوجيه الموضوى ، وأحيانا يتم على حساب رؤية « المبدع » بتعسف وجرأة .

هذه ظاهرة خطيرة تكرسها القاعات الخاصة للعرض التي تنبعث وبذكاء مدروس بين أحياء العاصمتين الادارية والاقتصادية التي يتحول فيهما الابداع الى علبة تصبير مستهلك من طرف البورجوازية المحلية والجالية الاجنبية ما دامتا يشكلان زاويتي الاحتكار الثقافي .

ـ قاعة بنية ب س ـ قاعة النادرة ـ المعمل ـ نظر ـ لوسافوا ... الخ.

ولتغطية موقفهما وتبريره تحاول أن تفتعل صراعا يائسا ومكشوفا بين ما يسمى بالقاعات (الوطنية) التي يملكها مغاربة والقاعات التي يملكها غير مغاربة .

أقول ما الفرق بينهما ما داما يكونان الفاصل (اللاشرعي) لخلق ابداع جماهيرى يرتبط فعليا بهموم الآخرين .

ولقد دفعت الجرأة بعض المقتنين الى التفكير في فتح قاعات أخرى للاتجار فى الاعمال التى سبق شراؤها في (زمن النهب) .

هنا تحضرنى كلمة قالها السيد كارلتون وهو صاحب كالورى كبير خاص بلوحات الكلاسيكيين .

ـ سؤال : لماذا الاحتفاظ وبعناية على اقتناء التجربة الكلاسيكية فقط ؟ باستطاعتك أن تفتح أروقة أخرى للتشكيل المعاصر !

ـ جواب : « هل تريد ان يقول الزبناء بان السيد كارلتون قد جن ؟ لقد عودتهم على دخول هذا المناخ . وفي باريس تتواجد قاعات عديدة للعرض تختلف تخصصاتها حسب ذوق زبنائها » .

ترى هل هو آثار مرض معد ينقله لنا الريح الآتي من الغرب العجوز ما دام الغرب كان دائما صبوة الحلم للكثير من المبدعين ، وانبهارا يخلق لديهم احباطا وعقدة التلمذة ؟

اننا هنا بحاجة لخلق علاقات أخرى .

ولا أريد هنا أن تكون هذه (المقدمة) على حساب (القاسمي ولكنني أطرح سؤالا لا بد منه ، هل يخرج القاسمي نفسه عن اطارها ؟ . يبقى هو شخصيا مطالب بالجواب الفعلي .

شهادات للدلالة

1) زائرة فرنسية لمعرض القاسمي : لو رأيت نفس اللوحات في باريس لقلت : لن تكون سوى صوتا من العالم الثالث (المغرب) .

2) فنان مغربي آخر : يبقى القاسمي المبدع الاقل دينا (بسكون الياء) من باقي التشكيليين المغاربة .

أجرى الحوار : نور الدين محمد الانصاري

مراكش